الفصل الثاني والثلاثون

في إعتقاد المصريين في منشأ العلوم وذكر هرمس والتنجيم وكتاب الموتى والسحر والطلاسم والحواة

نقل مؤرخو اليونان عن تاريخ قدماء المصريين أن الله عز وجل أمر هرمس الهرامسة أو المثلث المعروف بهرمس الأول أن يكتب جميع العلوم بالقلم السري ففعل وأودعها بطون الأسفار والكتب وكان يسكن السماء وهو أول من عرف الله ومجده أما هذه الكتب فبقيت مجهولة إلى خلق العالم ثم جاء الطوفان وأغرق الأرض ومات كل من عليها ولما عمرت ثانياً كانت الناس على فطرتهم الأولى لا يعرفون شيأ من ضروريات معيشتهم فأرسل الله لهم هرمس الثاني وهو عبارة عن هرمس الأول متجسداً في صورة إنسان ولما هبط إلى الأرض أخذ يعلمهم ما يحتاجون إليه لأنهم كانوا يهيمون على وجوههم كالوحوش في الفلوات لا يمكنهم التفاهم والتعارف إلا بصياح ساذج مختلط متقطع فبدأ بتعليمهم النطق بالكلام ووضع أسماء المسميات وبين لهم طريقة التعارف فيما بيهم ثم إخترع أحرف الهجاء ولقنهم أياها ورتب لهم الهيئة الإجتماعية وسن أصول الدين ومحافله ودون قواعد علم الفلك والرياضة والهندسة ووضع الأرقام الحسابية وإخترع الكيل والميزان وكل ما يعود عليهم بالمنفعة ولم يقتصر على ذلك بل علمهم تحنيط الأموات وهو الذي حنط أوزيريس معبودهم بعدما قتله تيفون إله الشر كما في هذا الشكل وسيأتي بيانه في الباب الحادي والعشرين.

وقالوا انه لما هبط إلى الأرض ألف بها كتباً كثيرة وأسلمها إلى طائفة القسس وجعلهم أمناء عليها وكانت مكتوبة بغير اللغة والخط اللذين ألف بهما كتبه الأولية ثم أودع هذه الطائفة من غامض العلوم ما لم يبح لغيرهم بها وحتم على كل فرد من أفرادها معرفة ما بهذه الكتب كلها أو بعضها حسب ما تقتضيه وظيفته بين أمثاله وذويه أما عددها فكان اثنين وأربعين كتاباً تشتمل على جميع أصول الحكم والنصائح وأركان الدين وقواعد العبادة وترتيب الحكومة وعلم الفلك والجغرافية حتى علمهم ما يتريضون به مثل الموسيقى ونحوها فإخترع لهم عوداً ركب به ثلاثة أوتار فقط وعلمهم الألعاب الرياضية والبهلوانية والنقش والرسم وبالجملة كل فن نافع وكل شئ مريض للجسم والروح فلذا صاروا أسيري إحسانه وعبيد عرفانه فهذا هو ما رواه أفلاطون الحكيم وبلوتاركه وغيرهما.

وبالجملة كتب جميع الفنون والمعارف على إختلافها كما نسبوا إليه جميع الغختراعات النافعة التي إخترعتها الكهنة وقالوا أن وظيفته إدارة أحكام أهل الأرض والقمر وتسجيل أعمال المخلوقات يوم البعث والميزان بجهنم (راجع صحيفة الاثنين وأربعين قاضياً نمرة ١٤١) وقال جامبليك أن كتبه بلغت بمصرعشرين ألف كتاب وقال مانيطون المصري أكثر من ذلك فيستفاد بداهة مما ذكر أن لفظة هرمس كانت رمزاً على الطائفة الكهنوتية العلوم نفسها ليس شيأ آخر والظاهر أنهم نسبوا إليه إختراع كل شيء كما نسبنا إختراع جميع الأشياء إلى إدريس عليه السلام وكل كلام مستحسن أو حكمة مفيدة أو شعر رائق إلى علي كرم الله وجهه وكل فضيلة إلى سيدي جعفرالصادق رضي الله تعالى عنه وكل شيء غريب إلى صنعة الجن ومن قول أبي العلا المعري

تضل العقول الهبرزيات رشدها ولا يسلم الرأي القويم من إلا فن
وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجنّ

وبمسابرة التواريخ ترى أن لكل أمة فيه إعتقاداً مغايراً لمن عداها لكنهم إتفقوا جميعاً على أنه هو المخترع للأشياء كلها أو أجلها فيعرف عندنا باسم إدريس عليه السلام وعند اليهود باسم أخنوخ وعند الكلدانيين وغيرهم باسم هرمس.

وفي دائرة المعارف النمساوية (الإنكلوبودية) ما نصه هرمس هو عطارد بن المشترى والمعبودة مابه وكان اليونان يعتقدون أنه إله الرعاة والمراعي والمروج والأعشاب وقد إشتغل به في دولة الإسلام كثير من العلماء والحكماء وكان لهم من طرف الخلفاء الخلع والرواتب والجوائز سيما أيام عبدالله المأمون بن هرون الرشيد العباسي فإنه إجتمع عليه كثير من أهله وأخذ عنهم وكان له مشاركة فيه ولما مات بطرسوس قال فيه بعضهم

هل علوم النجوم أغنت عن المأ مون شيأ أو ملكه المأنوس
خلفوه بساحتي طرسوس مثلما خلفوا أباه بطوس

وفي بعض التواريخ قال أبو معشر الفلكي أخبرني مُحَمَّد بن موسى المنجم الجليس (لا أبو الخوارزمي) قال حدثني يحيى بن أبي منصور قال دخلت غلى المأمون وعنده جماعة من المنجمين ورجل يدعى النبوة وقد دعا له المأمون بالعصى ولم تحضر بعد ونحن لا نعلم فقال لي ولمن حضر من المنجمين إذهبوا وخذوا الطالع في دعوى الرجل في شيء يدعيه وعرفوني ما يدل عليه الفلك من صدقه وكذبه ولم يعلمنا المأمون أنه متنبي قال فحملنا إلى بعض تلك الصحون فأحكمنا أمر الطالع وصورنا موضع الشمس والقمر في دقيقة واحدة وسهم العادة منها وسهم الغيب في دقيقة

واحدة مع دقيقة الطالع والطالع الجدي والمشترى في السنبلة ينظر إليه والزهرة وعطارد في العقرب ينظران إليه فقال كل من حضر من القوم ما يدعيه صحيح وأناساكت فقال لي المأمون ما قلت أنت فقلت هو في طلب تصحيحه وله حجة زهرية عطاردية وتصحيح الذي يدعيه لايتم له ولا ينتظم فقال لي من أين قلت هذا قلت لأن صحة الدعاوي من المشترى ومن تثليث الشمس وتسديسها أذا كانت الشمس غير منحوسة وهذا الطالع يخالفه لأنه هبوط المشتري والمشتري ينظر إليه نظر موافقة إلا أنه كاره لهذا البرج والبرج كاره له فلا يتم التصديق والتصحيح فقال المأمون لله درك أنت ثم قال أتدرون من الرجل فقلنا له لا قال هذا يدعي النبوة فقلت يا أمير المؤمنين أمعه شيء يحتج به فسأله فقال نعم معي خاتم ذو فصين ألبسه أنا فلا يتعين منه شيء يحتج به ويلبسه غيري فيضحك ولا يتمالك من الضحك حتى ينزعه ومعي قلم شامي آخذه فأكتب به ويأخذه غيري فلا ينطلق أصبعه فقلت يا سيدي هذه الزهرة وعطارد قد عملا عملهما فأمره المأمون بعمل ما إدعاه فقلنا له هذا ضرب من الطلسمات فمازال به المأمون أياماً كثيرة حتى أقر وتبرأ من الدعوى ووصف الحيلة التي إحتالها في الخاتم والقلم فوهب له المأمون ألف دينار فلقينا بعد ذلك فإذا هو أعلم الناس بعلم النجوم ثم قال أبو معشر لو كنت حاضراً مكان القول لقلت أشياء ذهبت عنهم كنت أقول الدعوى باطلة لأن البرج منقلب والمشتري في الوبال والقمر في المحاق والكوكبان الناظران في برج كذاب وهوالعقرب.

وقيل أن أحد الملوك في زمن أبي معشر غضب على أمير من أعيان دولته وأراد الإيقاع به فإختفى من وجهته وشدا الملك في طلبه فلم يقف له على خبر فأمر أبا معشر أن يأخذ عليه الطالع ليعلم أين مكانه ففعل ثم قال يا مولاي رأيت عجباً وهو أني رأيت المطلوب جالساً على جبل من ذهب وسط بحر من دم يحيط به سور من نحاس فكذبه الملك وأمره بإعادة أخذ الطالع ففعل وكانت النتيجة عين الأولى فتعجب الملك من ذلك وإشتاق لمعرفة الحقيقة وأعطاه الأمان فحضر لديه وسأله عن مكانه مدة غيبته فقال يا مولاي لما خفت من أبي معشر أن يدل على ملأت طستا من نحاس بالدم وجعلت بوسطه هوناً من ذهب وجلست عليه فتعجب الملك من حذاقته وعلو مكانة أبي معشر في التنجيم.

وعلم التنجيم ليس من الحقيقة في شيء حتى قال أحد مشاهيرالفلكيين من الإفرنج أن علم الفلك خلف ولداً مجنوناً لا يعتد به ومما يدل على فساد مبناه أن أحد الملوك أراد الخروج إلى الصيد فنهاه أحد المنجمين عن ذلك وأخبره أن الطالع منحوس وأنه يخشى على الملك من

الخروج إلى الجبال في مثل هذه الأيام إلا إذا حل الغمر بالقوس فتكدر الملك من ذلك وإغتم وبينما المنجم يوسع له في النصح ويحذره من الخروج وغذا بغلام تركي وجيه المحيا وسيم الطلعة دخل عليه متقلداً بقوسه فقال له أحد الظرفاء من جلسائه يا مولاي قد حل القمر بالقوس فإنهض لحاجتك فقام الملك من فوره إلى الصيد فغنم شيأ كثيراً وعاد سالماً ولم يحل به نحس المنجم.

أما كتاب الموتى فكان يصنع من الورق البردي ويوجد الآن على هيئة ملفات أو صحف بجوارالميت أو بين فخذيه وهو كثير الوجود بأرض مصر وفي متاحف الممالك الأجنبية وهو كتاب مقدس عندهم ربما بلغ طوله إلى ثلاثين قدماً فأكثر ويختلف عرضه من قدم إلى اثنين مكتوب به جملة فصول وأبواب تذكر سفر الروح بعد فراقها جسم صاحبها وما تكابده من العقبات والمهالك والمخاوف مدة هذا السفر الطويل حتى تتصل بعالم الأرواح الطاهرة إن كانت أهلاً لذلك وإلا فالسجن والعقاب وغير ذلك مما هو مدون به وتارة يكون عليها كيفية تحنيط الأموات ونقلها إلى المقابر أو إستغاثات إلى كل واحد من الاثنين وأربعين قاضياً المرسومين في لوحة محكمة أوزيريس (صحيفة ١٤١) أو يكون عليها أجوبة لأسئلة مفروضة تقولها الروح لمن يسألها أو أدعية وطلب المغفرة وتمحيص الذنوب أوتزكية النفس وأنها كانت راضية مرضية وهاك نموذجين من ذلك الأول منهما (تقدست يا صاحب الحق والعدل تقدست يا عظيم يا صاحب الحق والعدل قد أتيتك معترفاً بكل خضوع أني ما إقترفت صغيرة ولا كبيرة في جانب مخلوق وما أهنت الأرامل ولا كذبت في المحاكم ولا كلفت صانعاً بشغل أكثر من عمله اليومي ولا كنت كسلاناً ولا متوانياً ولا خالياً من الشغل في الحياة الدنيا ولا إرتكبت المعاصي المنهي عنها ولا أجعت أحداً ولا أبكيت له عيناً ولا قتلت مخلوقاً ولا أمرت بفعله ولا أخذت ذخائر الأموات ولا إكتسبت من حرام ولا طففت المكيال والميزان ولا غيرت حدود الأطيان والمزارع ولا غششت أحداً في كفة الميزان ولا طردت الحيوانات المقدسة عن مراعيها ولا إقتنصت الطيور المنهي عنها ولا حولت المياه عن مجاريها وأني طاهرة زكية زكية زكية).

الثاني (نجني من الفتانات يا حاكم في يوم الفصل وإسمح للميت بالقرب منك لأنه ما عصاك ولا شهد بالباطل بل عاش في الحق وأكل الحلال وأطعم الجائع وأروى الظمآن وكسى العاري وأعطى سفينة لمن أتعبه السفر وذبح القرابين وأخرج الصدقات عن الأموات فنجه من المهالك ولا نحكم عليه بالعذاب يا سيد الأموات لأنه طاهر الفم واليد). وكانوا يجعلون مع كل ميت كتاباً من ذلك ليصرف عنه السوء والمخاوف وأغلبها كانت تكتب بيد الميت قبل وفاته أو بمعرفة

أقاربه أو الكهنة وتارة كانت القسوس تبيعها للناس وجميعها مكتوب بالقلم العامي القديم. وكثير من هذه الملفات عليه نقوش وألوان محكمة الصنعة نقل أغلبها غلى بلاد الإفرنج وزينوا به دار تحفهم كما أسلفنا غير مرة ويوجد بمتحف لوفر بفرانسا ملف لكاهن مصري يدعى (نيوتن) كان قاضياً في إحدى المحاكم المدمرة وهو مصور بثياب بيض جالس على كرسي بوسط حجرة مزينة بأحسن زينة يقدم القرابين إلى معبوده أوزيريس وخلفه أمه وأخته وأسفل ذلك نصوص مأخوذة من كتاب الموتى بها أدعية تقال عند الدفن وبعد ذلك صورة الإحتفال وجثة الكاهن المذكور محنطة موضوعة على نعش بوسط سفينة محمولة على عربة يجرها أربع ثيران وأمه تمشي خلفه وشعرها مرسل على ظهرها وأكتافها بلا إعتناء وثيابها ملوثة بالحداد تنوح على ابنها ثم إمرأتان لابستان ثياباً حمراً إحداهما في صورة المعبودة نفتيس جالسة عند رأسه والأخرى في صورة إيزيس جالسة عند قدميه وبجوار العربة قسيس من الكهنة متشح بجلد النمر وبإحدى يديه مجمرة وبالأخرى إناء الخمر ثم أربع رجال يقودون عربة عليها صندوق أسود على هيئة تابوت به القدور الحافظة لأحشائه المحنطة (وهذه القدور تعرف عند علماء الآثار باسم كانوب) والمعبود أنوبيس (ابن آوي أو الذئب) جالس على هذا الصندوق ثم نساء من أهل الميت وأقاربه يمشين خلفه راخيات الشعور قد سخمن ثيابهن ووجوههن بالطين والرماد ينحن عليه ويندبنه وهيئة أذرعتهن تشير إلى ذلك ثم يتلو الجميع رجال من أقاربه وأحبابه عليهم شعار الحزن أيضاً وفي يد كل واحد هراوة طويلة وترى في رسم آخر بجوار هذا كأن النعش وصل إلى قبر مفتوح وأمه واقفة بإزائه تودعه آخر وداع له وفوق رأسه كاهن أوزيريس السالف ذكره يتمم واجب وظيفته ولله در المصور الذي أمكنه إظهار داخل هذا القبر بالرسم حيث جعل به سلماً يفضي إلى فسحة صغيرة منقوش بابها باللون الأصفر و بها محراب وكرسي بمساند وباب آخر يفضي إلى رواق يتصل برحبة كبيرة بها مصطبة عليها جثة المتوفي ثم سرداب مواز لهذه الرحبة به قدور الأحشاء والصدقات التي قدمت له بعد الموت وفي جهة أخرى من الورقة رسم به صورة الميت بثياب بيض قائماً يعبد معبوداته ثم صور المعبودات التي تحضر وقت التحنيط وتحت كل واحد كتابة تنبيء عن وظيفته ثم صورة الميت قائمة تعبد أوزيريس وخلفه المعبود أنوبيس وكأن الميت قد حضر إلى المحكمة أمام الاثنين وأربعين قاضياً وهو يبتهل إليهم وتراه بعد ذلك واقفاً أمام أوزيريس يضرع إليه وبجواره ميزان الحق و بإحدى كفتيه ريشة العدل التي يوزن بها القلب و بازائه كلب جهنم أو ملك العذاب ثم تراه بعد ذلك مصوراً قد صار مع الأبرار في أعلى عليين حيث سفينة الشمس وقد

جلس في سفينة تسبح في السماء الشراع وبجواره زوجته.

أما السحر وعمل الطلاسم فكانا مستوطنين بمصر من قديم الزمان وذكر المؤرخ تاسيت الروماني كثيراً من العجائب السحرية التي كانت تحدث بمدينة الإسكندرية مدة إقامة الإمبراطور (وسبازيان) بها وكذا العجائب والإستدراجات التي كانت تظهر على يد هذا الإمبراطور بها حيث قال أنه كان يبرئ الأعمى ويقيم السطيح و كات (أرنوفيس) الساحر يستخدم الشياطين ويشير إلى السماء فتمطر وقال (أوريجين) الساحر الإسكندري تعلمت من كهنة مصر بعض كلمات مصرية إستخدمت بها الشياطين وبعض كلمات فارسية أطعت بها كل عات من المردة وهذه الكلمات لا يعرفها إلا العلماء وقال القديس جيروم) أن إحدى العذارى أصابها مس من الشيطان وكان يعشقها شاب بمدينة غزة فلما حضرت ذات يوم إلى منزله إستهوتها المردة فغارت في الأرض تحت عتبة المنزل ولم يقف لها أحد على خبر إلى أن جاء (هلياريون) الساحر وكتب عزيمة على صفيحة من المعدن كان تلقنها من قسس مدينة منفيس وبعد أن عزم ظهرت الشابة على وجه الأرض. وكان إستفحل عمل السحر بمصر مدة موسى عليه السلام وذكر المؤرخون أنهم سروا الحبال والعصى وقلبوها إلى حيات وكانوا قبل ذلك يقلدون كل معجزة ظهرت على يده عليه السلام فإنه لما ضرب النيل بعصاه وصار دماً صنعوا مثله ولما دعا بالضفادع وخرجت من النهر صنعوا أيضاً مثله لكنهم عجزوا عن أن يخرجوا من التراب بعوضاً كما فعل وقد وجد على بعض الآثار اسم الطلسم مكتوب باللغة القديمة في حكاية بنترش أوبنتنشرش أخت زوجة رمسيس وكان أصابها مس من الجن وهي حكاية نفيسة ذكرناها باللغة البربائية في الباب المتم للعشرين من هذا الكتاب وفي مقدمة ابن خلدون ما ملخصه وفي المغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين فيشيرون إلى الكساء أو الجلد فيتخرق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبعج فتتبعج ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم مستترون بذلك في الغابة خوفاً على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك الروحانيات الجن والكواكب إلى آخر ما قال راجع ذلك في الفصل الثاني والعشرين من الكتاب المذكور. وفي الخطط الجديدة أنه كان في هذه المدينة (يعني مدينة قوص) قوم لهم معرفة تامة بصيد الثعابين والحيات والعقارب بواسطة عزائم وأقسام سحرية يقرؤنها عليها ويسلطونها على من يشاؤن فتتبعه بكل جهد ولا ترجع عنه إلا إذا

أمرت بالرجوع ويؤيد ذلك ما حكاه المقريزي عن الأمير (تكتباي) حاكم قوص في زمن السلطان مُحَمَّد بن قلاوون أنه أوقف ذات مرة ساحرة أو حاوية وأمرها أن تريه شيأ من عجيب صناعتها فأخبرته أن سرها الأكبر أن تسحر العقارب وتحركها لمن شاءت فإذا سمت لها شخصاً ذهبت إليه ولا تتعداه فتلدغه وتهلكه فقال لها أريني ذلك وأرجوك أن تجر بي في فاتت بعقرب وتلت عزائها عليها ثم أطلقتها فإنطلقت وراءه وهو يزوغ منها بجهات شتى حتى كادت تلدغه فهرب منها وجلس على كرسي وسط حوض مملوء بالماء فوقفت على حافته تراود نفسها في خوضه ثم جرت على الحائط ومشت بالسقف حتى صارت موازية لرأسه ثم رمت بنفسها فسقطت بالقرب منه وقصدته فبادر إليها بضربة فقتلها ثم أمر بقتل تلك المرأة.

وبالجملة فإن أمر العزائم العسكرية المستخدمة للثعابين والعقارب كان من قديم الزمان في أرض إفريقية وفي بعض تراجم التوراة أن ثعباناً أصم مفقود السمع لا تؤثر فيه العزيمة يدل على قدم هذا الفن وقال في موضع آخر ومن أعجب ما يرى ويسمع أن الحواة يجلبون الثعابين بأنغام الآلات قال الناقل أنه حضر عندي (أي ببلاد الهند) ذات يوم أحد الحواة وأخبرني أن في منزلي ثعابين وطلب الإذن في إخراجها فأذنت له بعد أن جردته من ثيابه وفتشت سلته فلم أجد فيها غير عقرب كبير أسود قدر الكف ففي الحال أخذ زمارته وهى عبارة عن جوزة من جوز الهند في رأسها ماسورتان وفي أسفلها كذلك وزعق بها زعقة مهولة توقف شعر الرأس وكنت بقربه أنظر إليه لا أفارقه ومعنا كثير من أهل البيت والجيران فلما وصلنا إلى ركن الجنينة غير نغمة الزمارة بنغمات متتالية نحو خمس دقائق وإذا هو بشير إلى شيء أرانا إياه ثم طأطأ ومسكه بيده فإذا هو حية من أشنع الحيات ذات السم القاتل طولها نحو قدمين ونصف وفي حال مسكها قرصته قرصة أسالت الدم من أصبعد من دون أن يلتفت إلى ذلك ووضعها تحت شجرة وجعل يرمز كالأول ثم مسك حية أخرى لكنها ليست في السم كالأولى وبعد أن وضعها في السلة أخرج جذر النجا وعرك به محل القرصة وقد نظرت إلى الجذر وأمعنت النظر منه (أقول هذا الجذر لا يوجد إلا ببلاد الهند وهو نافع لقرص الثعابين ولا يعرفه إلا حواة تلك البلاد) وفي تلك اللحظة قيل لنا أن في شق تحت شجرة ثعباناً لم يكن أحد إلى الآن أن يقرب منه فذهبنا مع الحاوي إلى الشق فأخذ يرمزيز زمنا ثم أدخل يده في الشق فأخرج حية طولها نحو خمسة أقدام ونصف وقد قرصته في قبضة يده ورأينا بمحل القرصة جرحاً يشبه قطع السكين والدم يسيل منه والحية لم تهجع بل كانت تعنفه بقوة وشدة وتحاول قرصه مرة أخرى فرمى بها إلى الأرض فرفعت رأسها وهجمت عليه فمسكها

من رأسها وثبتها في الأرض بعصى معه وفتح فاها بخشبة وأرانا أسنانها ثم قلعها ورماها فصارت بلا أسنان ثم أخذ يزمر وأخذت الحية ترقص على النغمات وتتمايل يميناً وشمالًا وترتفع بصدرها وتهبط إلى الأرض فإذا مشى تبعته وإذا إلتفت إلتفتت فكانت كأنما الحلوى طلسم عليها وقد كمل للحاوي في زمن قليل من الجنينة والمنزل ست حيات وقد حصل له في نحو ساعة جملة قرصات إستعمل فيها الدلك بجذر النجا ولم يحصل له أدنى ضرر وإلى الآن لم يصر وقوف أهل العلم على خواص هذه الجذور (راجع ذلك في الجزء الرابع عشر نمرة ١٣٣). والظاهر أن الحواة يقلدون بصفيرهم أصوات الثعابين فيصفرون للأنثى بصوت غليظ يشبه صوت الذكر وللذكر صوت رفيع يشبه صوت الأنثى فيخرجان للسفاد فيقبض عليهما بهذه الحيلة.

وقال شمبليون فيجاك إشتهر حواة المصريين من قديم الزمان بمسك الثعابين والأفاعي من المنازل كما تصطاد الناس الفيران والجرذ بدون حذر فيمسكونها من الفراش وغيره ويقال أن سمها لا يؤثر في جسمهم ماداموا من نسل هذه الطائفة أه.

وقرأت في بعض كتب الجغرافية الطبيعية أن جزيرة سيلان (سرنديب) نوعاً من أخبث الثعابين لا يدنو منه أحد إلا أتلفه في الحال يعرف باسم أبي نظارة لوجود صفرة بعينيه تشبه النظارة يقصده حواة الهند لصيده ومتى دنت منه وثب عليها فترمي في وجهه مسحوق عرق النجا فيقع في الحال مغشياً عليه فيأخذونه وهذه الجذور لا يخرجونها لغير طائفتهم ولو بذل لهم الإنسان فيها ما بذل وتارة يبيعونها مغشوشة بأغلى الأثمان ضنا بها ويوجد ببلاد الهند نوع من الثعابين كالنخلة يدعي البوا يلتف على الثور العظيم فيكسر أضلاعه ثم يلعقه بلسانه فيفرز عليه مادة غروية ثم يبلعه مع أن غزال المسك الضئيل يقتله بظلفه (حافره) لأنه متى دنا منه وثب الغزال عليه وضربه على رأسه في فيفلقها لخاصية فيه وأخبرني بعض أمراء الإنكليز وكان حاكماً بالهند أنه ركب ذات يوم على فيل وخرج يتريض بالجبل مع أحد رفقائه فنظرا على بعد شيأ متدلياً من فرع شجرة ولا دنيا منه وجداه ثعباناً مغشياً عليه لا يبدي حراكاً فأطلق أحدهما عليه الرصاص فأصاب رأسه ووقع على الأرض ميتاً وله بطن كبيرة ففتحها وإذابها قرد لم يتغير منه شيء كان إصطاده من الشجرة و بلعه والله أعلم.